نشأة الأدب المهجري وتطوره

د. عبد الرحمن واني*

منذ منتصف القرن التاسع عشر هاجر طائفة من الشباب اللبناني والسوري إلى المهجر الأمريكي لأسباب شتى ومنها الاضطهاد السياسي والصراع الديني والفقر والتطلع إلى الحرية والكسب. اتّجه هؤلاء إلى أمريكا الشمالية أولا وبعد ذلك إلى كندا ودول أمريكا الجنوبية وبخاصة البرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والمكسيك وغيرها. ثم توالت الهجرات حتى منتصف القرن العشرين. وجد المهاجرون هواء الحرية الكاملة والبيئة الجديدة. ففي أمريكا الشمالية استطاعوا من خلال التجارة أن يحسنوا الحالة المادية والاقتصادية.

استوطن المهاجرون في المدائن لأنّه كانت هناك مواقع كثيرة للأشغال واستعمروا جاليات في نيويورك وديترويت وبوسطن وشيكاغو وبتسبرج وغيرها. وأينما حلّوا مكثوا في جماعة حتى نجحوا نجاحا بالغافي تجارتهم كما قلت آنفا. ولا أحسنت الحالة المادية والاقتصادية للمهاجرين فحسب بل تقدّموا في المجالات الأخرى أيضا مثلا في مجال العلم والمهنة والحرفة.

وبعد استقرارهم بدأت البيئة الجديدة تؤثر في حياة الشباب المهاجرين وفي عقولهم ومن ثمّ في انتاجهم الأدبي. ولكن أكثر ما أحسوا واكتسبوا في الوطن الجديد هو الشعور والإحساس بالحرية التي كانت مفقودة في الوطن العربي. أسس المهاجرون في عام ١٩٠٧م "جمعية السوريين المتحدة" وكذلك أسس في عام ١٩٠٨م "المنتدى السوري الأمريكي". وكانت مركز هذين جمعتين في

---

* الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

نيويورك. وكانت فروعهما في البلدان الأمريكية الأخرى أيضا. وفي عام ١٩٢٤م أدغمت جمعتين في "مؤسسة السوريين الأمريكيين" Syrian American Federation. وكذلك أسست الجمعة الخيرية والجمعة التجارية السورية والجمعة التعليمية السورية في نيويورك. وفي عام ١٩١١م أسس نعوم مكرزل "عصبة التقدم اللبناني".

وكذلك ألفت في سان باولو البرازيل حلقات أدبية ومن أهمها "رواق المعري" رأسها نعوم لبكي، وانضم إليها عدد كبير من الباعة المتجولين المتعطشين لسماع الأحاديث والأبحاث بلغتهم العربية، وكان الشاغل الأكبر لجماعة الرواق إنشاد القصائد الشوقية والمطرانية التي كانت تصل إليهم من مصر، والتعليق عليها ومعارضتها إن أمكن. وعندما انفرطت حلقة الرواق لم تنفرط المجالس الأدبية تحولت إلى المنازل العائلات وأصبحت حلقات متفرقة لكلّ منها رواد وخلان، عرفنا منها أربع حلقات والأولى في منزل شفيق معلوف حيث يجتمع أعضاء العصبة الأندلسية والثانية في منزل توفيق قربان حيث يجتمع طلاب المعارف والنكات والثالثة في منزل محمد علي الحاج حيث يسرح ويمرح الشاعر القروي وإلياس فرحات والرابعة في دار الكاتبة مريانا فاخوري حيث يجتمع الشعراء.[١]

وكان بين المهاجرين الأدباء الناشئون والشعراء النابغون الذين بعد احتكاكهم بالبيئة الجديدة أصبحوا يتجهون بأدبهم للتعبير عن حياتهم الجديدة ويعبّرون عن مشاعرهم في صورة شعر يصورون فيه عواطفهم وأحاسيسهم وتجاربهم ويرسمون فيه حنينهم وغربتهم وهمومهم وشكواهم. وكان أدبهم هذا هو أدب المهجر، وشعرهم هو الشعر المهجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعني به الادباء والنقاد عناية كبيرة. وقد ولد هذا الأدب والشعر مع القرن العشرين، ثمّ نشأ ونما وترعرع وازدهر، حتى بلغ ما بلغ في الثلاثينيات وما بعدها.[٢]

إذا نلتفت إلى الأدب العربي في أوطان هؤلاء المهاجرين الأصلية نلاحظ أن طلائع التجديد في الأدب قد ظهرت في لبنان لأنه كان أسبق الدول العربية إلى الاتصال باللغة الفرنسية، كما كان للإرساليات المسيحية فضل تغذية الأذهان بصنوف من العلوم والفنون حتى أخذت سمتها إلى مدارج الثقافية الأوروبية. ومن هذه المنابع أخذ الخيال العربي يحلق في مسابح الخيال الأوروبي. وشرع اللبنانيون يسيغون من هذا الرحيق الخالد، فهتفوا بملاحن غريبة على أذن العربية، وألوان لم تكن مألوفة للذوق العربي من قبل.[٣]

وهكذا نقول إنّ المهجريين قد هاجروا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية ولكن كانت الثقافة الغربية في أذهانهم وفي روحهم. وهذه الثقافة ازدادت في تأثرهم بالحركات الأدبية الجديدة في أمريكا الشمالية بالأخص. وجبران حليل جبران هو الممثل الأول للأدب المهجري وقد تأثّر جبران بأساتذته الغربية أثرا بالغا وهم شاعر ورسام وليم بليك (١٧٥٧-١٨٢٨م) أحدث في حياة جبران وتفكيره أعمق الأثر واتخذ منه جبران قدوة ومثالا. وكان وليم بليك يعتمد الخيال في كل ما يقول وينتج وهو الذي أنكر العالم المحسوس كما يقال. وهناك مفكّر ألماني فريد ريخ نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) أصعق جبران حين اطلّع هذا على آرائه واتجاهاته الأخلاقية، فأخذ يدور في فلكه الفكري، ويدعو غيره إلى اتباعه. وكلّ ما لدي نيتشه من جديد أنه نادى بإرادة القوة، ومجد الطاقة الحيوية، وألقى أكثر ما تواضع عليه الحكماء الأقدمون والمفكرون المحدثون من قواعد. ونفى معاني الرحمة والرقة واللطف والعطف، وما أشبه من الحياة الإنسانية. وأخيرا، هناك أوغست رودان المثّال الفرنسي الشهير (١٨٤٠-١٩١٧م) الذي تتلمذ له فعلا جبران، حين جاء إلى باريس عام ١٩٠٨م، قاصدا إتقان فن التصوير في كليتها الكبرى للفنون الجميلة، وقد أبدى رودان إعجابه بجبران، إذ قال: "على العالم أن يتوقع كثيرا من نابغة لبنان، فهو وليم بلبك القرن العشرين!" وكان رودان

من أقطاب المدرسة التعبيرية في الفن، وأجد أعلام النحت في التاريخ.[٤]

أصبح جبران المؤثّر الأول للشعراء والأدباء في أمريكا الشمالية ثمّ انتقل هذا التأثير إلى جملة الشعراء في المهجر الشمالي ووصل إلى المهجر الجنوبي أيضا. وعدا جبران هناك أمين الريحاني وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد الذين زعموا الأدب المهجري في أمريكا الشمالية. الممثل الثاني للأدب المهجري هو أمين الريحاني الذي تأثر بالأدب الإنجليزي الأمريكي كما هو يعترف بتأثيره بوولت وتمن وطريقة شعره المنثور. وهكذا جاء الريحاني بالشعر المنثور وكذلك جاء جبران خليل جبران بالنثر الشعري. وكلا الأسلوبين اشتهرا لا في المهجر فحسب بل قلدوهما الأدباء والشعراء في الشرق الغربي على السواء. والريحاني لم ينضم إلى الرابطة القلمية ولكن له دور مهم في تجديد الأدب العربي في المهجر. وهناك الممثل الثالث هو ميخائيل نعيمة الذي مكث في روسيا لست سنوات في مدرسة أوكرانيا وهناك بعد إلمام اللغة الروسية قراء عباقرة الروس ومنهم تشيخوف وتالستائي وبوشكين وغيرهم. ثم انتقل إلى أمريكا الشمالية، مكث في أمريكا الشمالية من عام ١٩١١م إلى عام ١٩٣٢م. كان نعيمة يتقن اللغة الروسية واللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية. كتب كتابه مرداد وكتابه عن جبران في اللغة الإنجليزية. تأثّر بالأدب الواقعي الروسي وكذلك تأثّر بالأدب الإنجليزي الرومانسي وكذلك قرأ الأدب الإنجليزي الأمريكي. هو زعيم نشيط يدعو إلى تحرير الشعر العربي من التقليد. هو الأديب المهجري الشهير بمؤلفاته في شتّى مجالات الأدب. له كتاب شهير في النقد الأدبي الحديث ألفّه إبان إقامته في المهجر. كان جبران زعيما للرابطة القلمية ونعيمة كان مستشارها ودوّن أهداف هذه الرابطة. وكان لهؤلاء الثلاث دور مهم في نشأة الأدب المهجري في أمريكا الشمالية. كان عدد الأدباء الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية أقل من زملائهم الذين استقرّوا في القارة الجنوبية ولكنهم كانوا أنشط وأشد تأثيرا، وإن

كانوا أقّل صلة بوطنهم القديم. الفرق بين الأدب المهجري في أمريكا الشمالية والجنوبية هو كان شعراء في أمريكا الشمالية ميالين إلى التجديد أما الأدباء في أمريكا الجنوبية فكانوا تقليديين.[٥] وكذلك ميشال معلوف وشكر الله الجر ونظير زيتون وجورج صيدح وإلياس قنصل والشاعر القروي وإلياس فرحات الذي مثّلوا الأدب المهجري في أمريكا الجنوبية. وبدون ذكر مدرستين هما "الرابطة القلمية" في المهجر الشمالي و"العصبة الأندلسية" في المهجر الجنوبي ومساهمتهما في تطوير الأدب المهجري تكون تاريخ أدبنا العربي في المهجر ناقصا.[٦]

الهوامش:

١. سمير بدوان قطامي: إلياس فرحات، ص: ٨٦

٢. محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي الحديث، الجزء الثالث، ص: ٢١

٣. عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص: ١٠-١١

٤. عبد اللطيف شرارة: معارك أدبية، قديمة ومعاصرة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص: ١٧٠-١٧١

٥. علي شلس: أدب وأدباء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص: ١١

٦. جورج صيدح: أدبنا وأدباءنا في المهجر، ص: ٧١٢-٧١٤

* * *